التعليم ومراحله في العهد العثماني

د . حميدي أبوبكر الصديق

السنة الثانية ماستر

التخصص : تاريخ الجزائر الحديث

المقياس: تاريخ الجزائر الثقافي

من الظواهر الهامة في الجزائر العثمانية هو ظاهرة انتشار التعليم وتنوع المؤسسات التعليمية .وتكفل المجتمع بتمويل التعليم والقيام على مؤسساته ورعايتها .ومن أهم المؤسسات التي ساهمت في التعليم بالجزائر خلال هذه الفترة نذكر مايلي :

الكتاتيب : والتي كانت منتشرة في القرى وتستقبل الأطفال الصغار وتعليم القراءة والكتابة وأحيانا تكون محاذية للمسجد ، وهناك من يستمر فيها لحفظ القرآن كاملا .

المدارس : كان هناك تداخل وتكامل بين الوظيفة التي تؤديها : المدارس والمساجد والزو ايا والكتاتيب من حيث التعليم . ولكن في الغالب أن المدرس كانت تنتشر في المدن وخاصة المدن الكبرى ، ولها سمعة واسعة تختص بالتعليم والتنظيم وتعدد العلوم . فكانت العاصمة وتلمسان وقسنطينة ومازونة وغيرها تعج بهذه المدارس. فتلمسان بها أكثر من 50 مدرسة تستقبل مايقارب 15 ألف تلميذ والعاصمة أكثر من 200 مدرسة ويؤمها أكثر من 5 آلاف تلميذ ، وبقسنطينة أكثر من 100 مدرسة . ومن بين هذه المدارس من هو عبارة عن ثانويات أو ذات مستوى وشهرة عالية مثل المدرسة الكتانية بقسنطينة ، مدرسة أولاد الإمام بتلمسان ،والقشاشية بالعاصمة والمحمدية بمعسكر ..

المساجد : وهي في أصلها أقيمت للصلاة ولكنها تؤدي وظيفة التعليم ومنتشرة في معظم القرى وتستقبل الأطفال الأكثر سنا من الكتاتيب ، ويكون الإقبال عليها بقدر

السمعة التي تتمتع بها ، ويعتبر القلب النابض للقرية أو المدينة من حيث العبادة والتعليم وملتقى الناس وحل مشاكل الناس .وكانت تبنى من قبل الأفراد والتطوع الجماعي وأحيانا يبادر أحد الحكام بذلك .

الزوايا :وهي الظاهرة التي انتشرت بشكل كبير في العهد العثماني ، وعمت المدن والأرياف وغطت جانبا مهما من الحياة العلمية والثقافية ، وانتشرت بحكم انتشار الصوفية ، وتكفلت بالتعليم البسيط وحتى العالي منه ، وجمعت بين العبادة والتعليم واترديد حلقات التصوف وأذكارها وصارت فضاء للقاء أبناء الطريقة الواحدة ومنها من ذاع صيته خارج مجال القرية أو المدينة مع ما علق بها من خرافات ودروشة. وتبوأت منطقة زواوة الصدارة في انتشار الزوايا .

مراحل التعليم

التعليم الابتدائي :وقد يكون في كتاب أو مدرسة أو زاوية ، وتخصص هذه المرحلة لتعيم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم ، ويتكفل السكان في الغالب بتمويلها وبنائها في المدن والأرياف . وكانت هذه الأماكن المخصصة للتعليم الابتدائي على مختلف أشكالها تتجاوز الألف بالعاصمة وبهذا الانتشار والعدد جعل التعليم منتشر بشكل واسع ولو بصورة بسيطة وتقليدية وسن طلبتها بين 6 و14 سنة .

التعليم الثانوي :وهو الأكثر من حيث المستوى والسن وتتميز بالشرح والتحليل ، ولم تكن هناك مؤسسات تأخذ هذا المسمى ، ولكن بعض المساجد والزوايا تمارس التعليم الثانوي وتقدم دروسا في العلوم اللغوية والشرعية من تفسير وحديث وفقه وأصول ، والحساب والمتون ولم تكن هناك مقررات دراسية محددة بقدر ما تخضع لاجتهاد المدرس وقدراته وما يناسب الطلبة الوافدين إليه .

التعليم العالي ونقصد به المؤسسات التي كانت تقدم تعليما عاليا من حيث المستوى والتخصص ، وتكفلت بهذا الجانب الزوايا المشهورة ،وبعض المدارس العليا ، ومن مميزاتها ـ تنوع المعارف ـ المستوى العالي ـ وجود العلوم الشرعية واللغوية ـ حفظ المتون وشرحها ـ علوم الحساب والفلك ...كما كانت تتكفل بالطلبة من حيث الإيواء والإطعام وحتى بعض المنح التي كان مصدرها من المحسنين والأوقاف.

وكان هذا التعليم في الزوايا الكبرى والمدارس المشهورة مثل مدرسة مازونة التي تكلم عنها أبو راس الناصر وأعجب بها . وكذلك مدرسة أولاد الإمام بتلمسان ، والجامع الكبير بوهران ، والجامع الكبير بوهران بالعاصمة ، والمدرسة الكتانية والجامع الأخضر بقسنطينة . والعديد من الزوايا.....وكان من يمارس التعليم الابتدائي يسمى مؤدبا والثانوي غالبا يطبق عليه مدرسا والتعليم العالي أستاذا أو سيخا .